

المصدر: الرياض

التاريخ: ٢ يوليو ١٩٩٢

حينما يطلب الواحد منا صفحات الجرائد اليوم يصاب بالدهشة بسبب كثرة الأحداث واختلاف ظروفها وطبيعتها. وسبب حيرته في فهم ما يجري على الساحة السياسية. فهل ياترى فكر احدنا في التروي قليلا عند قراءة الخبر والبحث في الحاق التأمل عن السبب وتجاوز مرحلة مجرد فهم الخبر على انه خبر فقط.



أوروبا في مواجهة النظام العالمي الجديد

لا اعتقد ان تحليل الخبر أو الرواية من سمات الخيال أو يقصد به إثارة الشكوك أو الظنون، لأن في ذلك التحليل الكثير من التفكير والتأمل المطلوب من كل فرد مسلم كي

يصبح فاعلا في تفكيره وفي مجتمعه. فهناك العديد من الأحداث السياسية والتطورات المختلفة التي ترتبط بقضية واحدة هي صياغة النظام العالمي الجديد، أو النظام الغربي الجديد، الذي لم يتبلور بعد وإنما يمر بمرحلة الأعداد بعد انتهاء أهم فصوله وهو سقوط الشيوعية. ورغم أن محاور هذه الصياغة متعددة إلا أنه يمكن التركيز على محورين رئيسيين ستتطرق هذه الاطلالة البسيرة الى واحد منها فقط والمحور الآخر سيكون من اهتمام اطلالة قادمة بإذن الله.

المحور الأول هو تنظيم النفوذ السياسي في العالم واعاقه الوحدة الأوروبية بحيث تصبح الولايات المتحدة القوة المسيطرة في هذا النظام العالمي الجديد استمرارا لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. كيف يمكن الاحتفاظ بهذه القوة وأوروبا بدأت تتشكل كقوة مستقلة، وربما تصبح في يوم من الأيام قوة منافسة تطالب باعادة نفوذها ومصالحها القديمة؟ ظل هذا السؤال يشغل الساسة في الولايات المتحدة ومن خلاله تلونت السياسة الخارجية الأمريكية الجديدة.

من انعكاسات التحرك الأمريكي للأعداد لهذه القضية ما يتم اليوم في مسألة التقارب الروسي - الأمريكي الذي نتج عنه توقيع العديد من الاتفاقيات والمعاهدات والالتزامات بين الولايات المتحدة وروسيا من أجل رسم زاوية محددة من زوايا النظام العالمي الجديد الشيء الذي أوضحه الرئيس الأمريكي بوش في قمته مع يلتسين في قوله بأنهما يحاولان تحقيق الهدف المشترك للبلدين الذي يكفل للنظام العالمي الجديد الظهور والبروز والاستمرار. وقمة بوش - يلتسين تعكس بالفعل الاتفاق بين الطرفين على صياغة مشتركة لبعض التطورات السياسية في منطقة أوروبا وآسيا الوسطى وبعض المناطق الأخرى. فهل ياترى

تصبح روسيا حليفة لأمريكا في مواجهة أوروبا القادمة، أم أنها معبر سهل للسياسة الأمريكية من أجل بلورة نظام عالمي جديد تنزعه الولايات المتحدة دون منازع؟ السؤال الذي بدأ يتبلور أخيرا هو هل الولايات المتحدة في طريقها الى صياغة سياسة جديدة تقوم على دعم روسيا اقتصاديا كما عملت في السابق للدول الأوروبية وعلى رأسها ألمانيا؟ هل ستسعى الولايات المتحدة الى اعداد مشروع «مارشال» جديد لروسيا من أجل استمالتها كي تمارس دورا بارزا في سياسة الولايات المتحدة الخارجية الجديدة الرامية الى صياغة النظام العالمي الجديد الذي يركز على سيطرتها. من المتوقع ان تنقسم العلاقات الأمريكية - الروسية في السنوات القادمة بالتركيز على خطة أمريكية لدعم مركز روسيا الاقتصادي والسياسي من أجل أحداث الموازنة في المنطقة مع أوروبا وممارسة الضغط على التشكيل الوحدوي الجديد الذي سيهدد سياسة الولايات المتحدة في إطارها العالمي. وهل يمكن تفسير تفكير «غورباتشوف» للفلسطينيين العرب أثناء زيارته لإسرائيل على أنه جزء من الصياغة المشتركة بين روسيا والولايات المتحدة؟ فلقد استغرب الكثير من المحللين السياسيين العرب موقف «غورباتشوف» هذا من الفلسطينيين على الرغم من سياسته السابقة التي قامت على دعم القضية الفلسطينية شعبيا وإيديولوجيا؟ وهل ياترى أن زيارة «غورباتشوف» لإسرائيل هي جزء من تمثيلية انتهت دوره في فصولها المبكرة ولا تزال تحظى باهتمام جماهيري خاص على مستوى السلطة الأمريكية والروسية؟ ولنا أن نمد حدود التفكير الى تصور أغرب وهو الاعتقاد بأن الأحداث التي تجري في أراضي الاتحاد السوفياتي - سابقا - وفي أوروبا الشرقية تتم بدعم من الجانب الذي لا يرغب في قيام اتحاد أوروبي قوي ومتناسك. فالانقسام

هناك علاقة بين تطورات الانقسام السياسي في تشيكوسلوفاكيا وأولئك الذين يعارضون الوحدة الأوروبية؟

هذه الاحداث تقودنا الى الاعتقاد بأن منطقة البلقان واسيا الوسطى ستصبح مكانا متوترا يقلق الجانب الاوروبي الغربي الذي يعد نفسه بتدشين كيان سياسي

جديد سيغير من التوازن العالمي. لذا نجد ان أوروبا تحاول جاهدة تجاوز العقبات لتدعيم مسيرة الوحدة الأوروبية وذلك من خلال العديد من التطورات التي حدثت احيرا. من هذه الاحداث الاعلان المفاجيء عن التنازل الفرنسي - الالماني والاعلان عن تشكيل الفيلق الاوروبي المؤلف من قوة عسكرية لهاتين الدولتين، لا شك ان فرنسا تعتبر المحرك السياسي الرئيس للوحدة الأوروبية لانها هي التي اسست قواعد هذه الوحدة منذ ان خرجت مهزومة اثناء الحرب العالمية حينما اعلنت عن مشروع «شومان» (وزير الخارجية الفرنسي) في عام ١٩٥٢م الذي نتج عنه تأسيس المجموعة الأوروبية للحديد والفحم في بداية الامر الذي تطور الى تأسيس الاتحاد الاوروبي او المجموعة الأوروبية.

وتأتي المانيا هنا بمثابة المحرك الاقتصادي القوي لدعم مسيرة الوحدة الأوروبية التي شعرت بأهمية الارتباط العسكري مع فرنسا لمواجهة التحديات التي ربما تعيق انجاز اهداف الوحدة التي بدأت بفكرة شومان في الخمسينات الميلادية ويتوقع ان تنتهي بتشكيل اتحاد فدرالي في نهاية هذا العام الميلادي. هذا الاتفاق الالماني - الفرنسي يمكن تفسيره على انه خطوة جديدة لمواجهة التطورات الجديدة التي اخذت في الظهور في القارة الأوروبية ويخشى ان تقود الى مشكلات تقف عائقا امام الوحدة الأوروبية التي ظلت فرنسا تنشدها طيلة العقود الماضية لاستعادة نفوذ أوروبا الذي فقدته. ويمكن تفسير هذا التقارب على انه خطوة المانية لطمأننة فرنسا التي شعرت ولا تزال تشعر بالخوف من الخطر الالماني.

ومن التطورات الاخرى التي تعكس حرص أوروبا بقيادة فرنسا ومانيا على دعم مسيرة الاتحاد الأوروبي رغم الظروف الطارئة تلك الجهود السياسية والدبلوماسية المبذولة لتقوية موقع معاهدة ماستريخت التي صيغت من خلالها خطوط الوحدة الأوروبية. رأينا تلك الجهود التي بذلت في ايرلندا اثناء التصويت على قرار الانضمام الى هذه المعاهدة وما اثارته من اهتمام سياسي واعلامي كبير.

من خلال هذا التحليل اليسر لبعض الاحداث السياسية نجد ان أوروبا ستصبح في مواجهة حاسمة مع صياغة النظام العالمي الجديد وذلك عن طريق قناتين مهمتين هما محاولة الولايات المتحدة اعاققة الوحدة الأوروبية واتجاهها نحو تحسين وضع روسيا السياسي والعسكري. فهل ياترى ستصبح توقعات بعض المحللين الخاصة باحتمال قيام حرب عالمية ثالثة امرا واقعا، لا سيما وان ميزان القوى بدا في الاتجاه نحو التغير بشكل يثير حفيظة القوى التقليدية؟

والله من وراء القصد

الذي اصاب جسد الاتحاد السوفياتي المنهار لا يزال الى اليوم يزداد ويعتمد الى قطاعات جديدة من الاراضي والشعوب. فاليوم تتنازع اسيا الوسطى ومنطقة البلقان العديد من القوى بحثا عن نفوذ سياسي معتبر مما ادى الى اشاعة الفوضى السياسية بها ورسم صورة اللااستقرار في محايها الذي ابتمس للحياة الجديدة ولفترة قصيرة فقط.

فالشعب التتاري بقيادة دولة «تتارستان» اعلن عن التصميم على إعادة الهوية التتارية للملايين من السكان التتار الذين يتوزعون على اربعين دولة مختلفة مشكلين بذلك اكبر خطر عرقي يهدد المنطقة بصراع ربما يزيد من

الجراح وسوء الاوضاع. فهل يطالب الشعب التتاري بعودة امبراطوريته في الصين وروسيا وأوروبا الشرقية؟ المهم هو ان هذا الحدث سيفقد الى المزيد من الارباك لعملية الوحدة الأوروبية رغم اتجاه الدول الأوروبية الى احتواء هذه المنطقة ومحاولة الاهتمام بها عن طريق معالجة اوضاعها الاقتصادية وضعها تحت مظلة ما يسمى بـ«التعاون الأوروبي» التي تصنع قراراتها في هلسنكي.

وفي يوغوسلافيا - وعلى الرغم من ان اهداف الصرب تتركز في اباداة المسلمين في البوسنة والهرسك وفي الكوسوفو والسنجق وتأسيس كيان صربي واسع يمتد الى الجمهوريات الاخرى، فان الاحداث تتوالى وكأنها مسرحية مرتجلة تسمح لأبطالها الخروج عن النص المألوف حتى الانتهاء من قصورها كاملة. المهم هو ان أوروبا تدرك خطورة الوضع الناجم عن الاحداث في يوغوسلافيا وتحاول تحسين الوضع بها، فاللورد كارينجتون، رئيس مؤتمر السلام في يوغوسلافيا حذر بالامس قادة صربيا وكرواتيا والبوسنة والهرسك من الاتجاه نحو حرب شاملة تهدد أوروبا معبرا بذلك عن تخوف أوروبا من امتداد خيوط الاحداث في يوغوسلافيا الى بقية أوروبا كما حدث في العقود السابقة ودفع أوروبا أوروبا الثمن غاليا في منظورها.

فأوروبا تحاول انهاء الصراع في يوغوسلافيا بأية طريقة لمعالجة اخطر مكان يهدد استقرارها. ويكفي ان نذكر هنا تلك المهمة التي قام بها الرئيس الفرنسي «ميتران» التي فاجأت الجميع من أجل التعبير عن اصرار أوروبا على انهاء العدوان الصربي بشكل سلمي بدلا من الاتجاه الى استخدام القوة العسكرية التي ستعني دخول أوروبا مرحلة اللااستقرار السياسي الذي سيعيق بلا شك الوحدة الأوروبية.

وفي تشيكوسلوفاكيا بدأت بذور التقسيم المتوقعة منذ الحرب العالمية الثانية، لأن تلك الدولة تتألف من شعبين مختلفين عنصريا أو عرقيا وهما التشيكيون والسلوفاك الذين ارغمتهم تسويات ما بعد الحرب العالمية الثانية على الانصهار السياسي الهش الذي استمر بسبب سياسة القمع والاضطهاد. ومنذ ان بدأت احداث الانقسام وأوروبا تعيش في حالة قلق بسبب النتائج السلبية التي ربما تقود اليها هذه التطورات داخل الكيان الأوروبي، فهناك المئات من الحالات المماثلة التي ربما تتحرك لأن التركيبة السياسية لأوروبا بعد الحرب العالمية الثانية لم تكن قائمة على قواعد تضمن استمرار الاستقرار بها. هل